اللواء شبل السيد فرج

كاتب

تردد اسمه منذ سنوات قليلة فى دوائر الأدب . وقد كان من قبل . من نجوم الرياضة .

وتسأل عن سر هذا التحول فتجده فى قول صاحب السعادة اللواء محمد فتوح باشا « إن مؤلف ـ الرياضة فى بلادنا ـ الذى طلب الينا بالأمس أن نكون رياضيين أصحاء . يطالبنا اليوم بأن نكون عسكريين أشداء » .

دخل ميدان الكتابة العسكرية مع دخول الحرب المنقضية . بعد أن تسلم سيفه بأيام . ولهذا يحق لك أن تعجب كيف واتاه الحظ فحمل السيف والقلم معاً !؟

فى هذه السن المبكرة والرتبة العسكرية الأولى طفق يكتب فى الصحف ويذيع فى الراديو ويضع المؤلفات .. وان كانت أكثر مؤلفاته فى الحرب وهى موضوع عصى لا يلين !

يصف لك القتال ومواضعه وخطط الحرب وفنونها ، ويحدثك عن الصراع العالمى بمقدماته وتطوراته ونتائجه ، ويكشف فى علم الجغرافيا والتاريخ ومبادىء الحرب وتقاليد العسكريين ونظريات القدامى وفنون المحدثين .. وهى جميعاً موضوعات «صعبة» لكنه يسوقها اليك فى أسلوب شائق وتسلسل متناسق كأنما يسرد عليك قصة متتابعة الفصول ذات حبك وجاذبية .

أنظر اليه وهو يصف حملة غزو أوربا ، وهى تعبر البحر فى طريقها الى أخطر العمليات الحربية الفاصلة ، فيقول : « وتشق هذه الناقلات .. حاملات الجنود .. طريقها كالعرائس ، تتقدمها كاسحات الالغام ، تطهرها الماء وتباركه ، وتحف بها الطرادات والمدمرات لتحرسها من الشر ، وتظللها سحابة من الطائرات تمنع عنها العين ! »

واقرأ له وصف دفاع رشيد ضد الانجليز حيث يقول « فأهل رشيد بدأوا حرب الشوارع قبل أهل ستالينجراد بأكثر من قرن ، وفعلوا فى عام ١٨٠٨ ما أوصى به الجنرال رودمستيف عام ١٩٤٢ . وفازت فيها «المقاومة الشعبية» قبل أن يتحدث كبار القواد عن «حرب الأمة» و«جبهة المدنيين» .

وهو لا يكتفى - على حد تعبيره - بمجرد السرد بل يقدم اليك نظرات صائبة تنم عن حسن التقدير ، ويتقدم بآراء تصدق بعد شهور ، ويعرب عن تأملات تتحقق فى الخطط الكبرى والمعارك الفاصلة .. وقد كتب ذات مرة الى مجلة انجليزية محدد تاريخ غزو أوربا ومكانه وطريقته .. فصحت نظرته بالتمام وذكر أن الميدان الثانى سيفتح فى شهر يونية عندما يسوء مركز المحور فى ايطاليا فتحققت نبوءته .. وقد كان مدعاة للفخار أن تصدر الصحف

بهذه التحقيقات ، فتشيد « بأن ضابطاً مصرياً يحدد مكان وموعد غزو أوربا » !

ومما هو جدير بالذكر أن هذا الأديب يعنى بأناقة كتبه عنايته بأناقة ملبسه . واستطاعت دار المعارف أن ترضى هويته فأخرجت كتبه على غاية ما تستطيعه المطابع من أناقة الطبع وجمال الإخراج .. ولم تفت هذه الملاحظة سعادة الفريق ابراهيم عطاالله باشا فكتب عن كتاب « حرب الصحراء المصرية » يقول « إنه يجمع بين دقة البحث واستقامة التفكير ، وبراعة العرض وأناقة التعبير »

ولم يقف نشاط السيد فرج عند حدود الكتابة العسكرية بل تعداها إلى بحوث شتى تتناول جميع الشئون العامة مما يمر بخاطر الأديب أو يقع تحت ملاحظة الفنان ، حتى أصبح فى عداد الكتاب المثابرين الذين تقرأهم فى كل حين .. وقد كانت الصورة الوحيدة التى اتشحت بالرداء العسكرى فى معرض الكتاب العربى الذى أقامته وزارة المعارف عام ١٩٤٦ هى صورة السيد فرج ، وسيفه بيمينه وقلمه بشماله ، بين صور العقاد والمازنى والحكيم والصاوى ، وطليعة الكتاب والمفكرين ! !

وقد كتب عن السيد فرج غير واحد من أدباء العربية وتناولوا منه عدة نواح غير أن الناحية التى اجتمعت عندها الآراء هى تميزه بمحاولة «التعمق فى التفكير وحسن التعبير» . وقد وصفه الأستاذ الكبير عباس محمود

العقاد فقال : يصح أن يقال إنه قد قام بما يسميه الفقهاء « فرض كفاية » عن الكتاب العسكريين فى مصر .

وثمة ملاحظة أخرى تفرد بها بين الأدباء، وهى كتابة خلاصة بالإنجليزية والفرنسية لكل ما يكتب . وبذلك نشرت آثاره فى الأوساط الأجنبية واطلع كبار رجال العسكرية والسياسة على نظراته وبحوثه فوجدوا فى ذلك صورة أخاذة للناشئة العسكرية المصرية ، وفى ذلك قالت جريدة البروجريه الفرنسية « قلما أتيح لنا أن نشهد مثل هذه الدراية العسكرية . وأن مؤلفات السيد فرج قد أثارت موجة اهتمام وإعجاب أعلت شأنه فى مختلف الأوساط المصرية والأجنبية »

وقد اطلعت على عدة رسائل بعث بها اليه كبار رجال الرأى فى مصر والخارج فوجدت تنوعاً عجيباً ، فهذه رسائل من أصحاب السمو الأمراء عمر طوسون ويوسف كمال ومحمد عبد المنعم . . إلى جانب رسائل من البارون دينوا ومستر الكسندر كيرك ومارشال سمطس .. وأخرى من وزراء الشرق وكبار الكتاب ورجال الصحافة والرياضة . . مما يعطيك صورة لمدى ذيوع هذه المؤلفات

وبينما يذكر الفريق عمر فتحى باشا ، كبير ياوران جلالة الملك، أن مؤلف « الهجوم على أوربا » قد حقق عملا عظيما وأتى على ناحية هامة يحتاج الرجل العسكرى والرجل المدنى إلى ادراك شئونها وتفهم دقائقها تجد المغفور له أحمد حسنين باشا ينتهى اليه بإعجابه وسروره « مما لمسته من اتجاهك نحو البحث العلمى المفيد الذى يستحق كل تقدير وثناء » وتجد المستشرق الإنجليزى دكتور اربرى

يقول « قرأت مؤلفاته بشغف وإعجاب ، فهو يعطيك صورة شائقة لكل ما تقرأ له » . . وبينما تجد الأستاذ خليل ثابت بك يثني على « الهنتوروح الأقدام والبطولة وصدق العزيمة . . والعلم الغزير والدراية الصحيحة بالمسائل العسكرية » . . تجد دولة السيد جميل مردم يقول « وجدته في تأليفه كثير المعلومات كبير الإفادة ناضج الفكرة . . »

أما في باب النقد ، فله قدم ثابتة وعين نافذة . . أو بتعبير آخر هو ناقد ذواقة يحسب له حساب !

أو لم ينفذ في حياء وتواضع خلال السور الكبير الذي أقامه الأستاذ الكبير « العقاد » حول عبقرية خالد ، فجال وصال .. فكان لآرائه ونظراته وقعاً لم يبلغه ناقد آخر . . وحسبنا هذه الرواية . من باب التمثيل . . ففيها غناء عن كل تطويل !

ولعلي أكتفي بهذه القدر في الكتابة عن الأديب ، لأتكلم قليلا عن الرجل. والحق أني لا أكاد أعرف على وجه التحديد متى بدأ حياته ككاتب، ولا أعرف الدوافع التي قادت رجل السيف هذا إلى دنيا الأدب، وكل ما أعرفه هو أنه برز طفرة واحدة من بين صفوف المتأدبين . . .

على أن بروزه هذا كان عبئا عليه . فقد أثار حفيظة كثيرين !

كيف لا ، وهو الفتى الذي لم يبلغ الثلاثين من عمره ولم يحز غير الرتبة الثالثة من درج العسكرية ، فيذيع اسمه . ويكشف عن ثروة من الفكر والمعرفة لم تتح لأمثاله ..

وثمة ملاحظة أخرى أثارت عليه بعض اللسنين ، وهو تكوينه الطبيعي. فما أن تراه بطوله الفارع وقامته المعتدلة ورأسه المرفوع ونظراته الثابتة .. حتى تظن أن الكبرياء كلها قد صبت في رجل! وجاءت طريقته في المعاملة تزيد في اختصاصه بغير المألوف ، فهو قليل الكلام ، كثير الشرود . صامت الوجه ، دائم الفكر .. كالذي ينتظر أقداراً عظيمة ! ؟ ولذلك لم يسلم من شائعة الكبرياء التي سلطت على كثيرين من الغارقين في أفكارهم ومثلهم العليا

والحق أن لطبيعة التكوين الرياضي أثراً في خلقته، ولطبيعة التنشئة الأدبية نصيباً في خليقته ، فقد نضج قبل الأوان ، وصاحب كثيرين من كبار الأدباء وأرباب المرا كز الكبيرة . . ولهـــذا فأصدقاؤه ـ من زملائه ـ قليلون :

ولعله خاسر في الحب ! إن المرأة لا تكاد تظهر في حياته .. ويخيل إلى أن هذا الجد والتزمت والوقار .. ترد النظرات الأولى التي ترسلها عيون ألمها بين « الجمال » و « مارلى » ..!!

ولعله ينوء بواجبات وأثقال شخصيته .. شأن الذين يعملون بغير شكوى .. لأن كيانهم راسخ في قرار الحقائق الأبدية ، وإذا رأيت قيوب الليث بارزة .. فلا تظنن أن الليث يبتسم .. ! ؟

أما أصدقاؤه ، فهي الكتب والأفكار .. ولعله يفضل أن يأخذ

ويعطى مع تقديرات « ليدل هارت » وقوانين نابليون ، وأشعار المتنبي وعبقرية خالد ونفثات « حكيم » ونظريات فردريك الأكبر الهجومية .. وأيضا ، أحاديث صديقه الروحي البكباشي (أ ح) محمد عبد الفتاح إبراهيم ومناقشاته « البيزنطية » ! ؟

وهو يبدو كثير التشبه بالعقاد ، فهو معجب بنظراته وأفكاره وتحليلاته ، ولا يكتفي باعتباره كبير أدباء العربية .. بل يقول إنه من أصلح الرءوس للقيادة العسكرية

* * *

وبذا تنتهي كلمتنا عن الجندي الأديب ، لم نرد فيها مديحه واطراءه ، بقدر ما أردنا تحليل آثاره الأدبية ، فإذا وجد القارىء أننا أكثرنا من الإشادة به فليعد ذلك من باب التشجيع والترغيب .. وليجعل الحكم فيما قلنا عنه للمستقبل القريب ! !